

الإنفصال العظيم

" الذي رفشه في يده وسينقي بيده ، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ " (مت 3 : 12) .

هذه الكلمات قالها يوحنا المعمدان عن الرب يسوع المسيح. وهي لم تتم بعد، لكنها سوف تتم يوماً ما . دعونا نتأمل في معانيها في أربع نقاط .

1 - ينقسم الجنس البشري إلى قسمين عظيمين :

بالرغم من أن الناس يقسمون المجتمع إلى أقسام عديدة ، لكن الله يقسم البشر إلى قسمين فقط ، وهذان القسمان يسميهما هنا القمح والتبن . والله الذي يرى قلب كل إنسان ، هو الذي يصنف كل إنسان في واحد من هذين القسمين .

ماذا يقصد بالقمح ؟ يُقصد به المؤمنين ، الذين آمنوا بالرب يسوع ، وأحبّوه، وعاشوا له . وبالرغم من إنهم خطأ وغير مستحقين في عيون أنفسهم ، إلا أنهم أعزّاء في عيني الله . وماذا يُقصد بالتبن؟

يقصد به جميع الذين ليس لهم الإيمان المخلص بالمسيح ، والذين لم يتقدّسوا بالروح القدس . لا يهم إذا ما كانوا يعلنون عدم إيمانهم صراحة ، أم أنهم يدعون أنفسهم مسيحيين . كل مَنْ ليس له الإيمان الحي ، وكل مَنْ هو غير مقدّس ، فهو تبن . قد يكون لهم مواهب طبيعية عظيمة ، وقد يكون لهم تأثير عظيم في العالم، ولكن لأنهم أهملوا خلاص الله ، فإن الله لا يُسرّ بهم .

من المهم أن ندرك أنه لا يوجد قسم ثالث من الناس . في أيام الطوفان العظيم - أيام نوح - كان هناك قسمان فقط من الناس، الذين في الفلك ، والذين خارج الفلك . والرب يسوع يتحدث عن طريقين ، الطريق الواسع الذي يؤدي إلى الهلاك ، والطريق الضيق الذي يؤدي إلى الحياة . لا يوجد طريق آخر . لذلك عليّ أن أسألك بوضوح : "

هل أنت من القمح أم من التبن ؟ هل أنت خليقة جديدة ؟ هل تبت ؟ هل وضعت ثقتك في المسيح ؟ هل تحبه وتخدمه ؟ هل تحب الكتاب المقدس ؟ هل تصارع في الصلاة ؟ هل أنت مسيحي في عملك وفي بيتك ؟ هل أنت مسيحي في كل أيام الأسبوع كما في يوم الأحد ؟ " . إنني أدعوك أن تواجه هذه الأسئلة ، حتى إن كانت هذه المواجهة صعبة بالنسبة لك . أدعوك أن تواجهها الآن .

إن كنت تبناً ، فمن الأفضل أن تكتشف ذلك الآن حيث لا يزال لديك وقت للتوبة .

2 - القسمان العظيمان من البشر سوف ينفصلان :

يخبرنا النص الكتابي أنه سيأتي الوقت الذي فيه يُفصل القسمان العظيمان من البشر . سوف يأتي اليوم الذي يعمل السيد المسيح فيه ما يعمله الفلاح في محصوله . سوف يفصل القمح عن التبن . هذا الفصل لم يحدث بعد ، ففي الوقت الحاضر ، يختلط القمح والتبن معاً، حتى بين أولئك الذين يدعون أنفسهم مسيحيين. والناس لا يستطيعون عادة أن يميزوا بينهما ، لأنهم لا يستطيعون أن يقرأوا ما في قلوب الآخرين . وإلى أن يجيء المسيح ثانية ، سيكون في الكنائس تبن مع القمح . وحتى يجيء المسيح ثانية ، سيكون - بالتأكيد - كل من القمح والتبن في العالم . لكن عندما يأتي المسيح ، سيحدث فصل عظيم ، القمح سيكون مجموعة واحدة ، كل من فيها أتقياء ، والتبن سيكون مجموعة أخرى ، كل من فيها خطاة . وبين القسمين ، سيكون هناك هوة عظيمة لا يستطيع أحد أن يعبرها. احد المجموعتين ستكون في بركة كاملة، والأخرى ستكون في شقاوة كاملة .

إذا كنت مؤمناً حقيقياً ، فلا بد أنك تحب شركة القديسين ، وترفض الشركة مع أبناء العالم . يجب أن يكون لك اشتياق لذلك الوقت الذي فيه يأتي المسيح ثانية ، حيث يجتمع شعب الله معاً إلى الأبد ، ولن يكون هناك فراق فيما بعد .

أما إذا كنت تدرك أن قلبك ليس كاملاً في نظر الله - فعليك أن تخاف وترتجف عند التفكير في مجيء المسيح الثاني . فستظهر - عندئذٍ كما أنت ، على حقيقتك . الله لن يُخدع على الإطلاق . لذا استحثك أن ترتجف ، وأن تتوب .

3 - ما الذي سيناله شعب المسيح :

يخبرنا هذا النص الكتابي ، أن المسيح " سيجمع قمحه إلى المخزن " . دعني أتحدث إليك عما سوف يحدث لشعب المسيح عندما يأتي الرب ليطهر أرضه . سيجمع الرب كل شعبه في مكان آمن . لن يفقد خاطئ واحد وضع إيمانه في المسيح للخلاص . كل حبة من القمح ستكون هناك . نحن لا نقدر عناية الرب بشعبه حق قدرها . دعني أحاول أن أوضح لك .

إن الرب يسر بمؤمنيه . ولا يؤدي ضعفهم وفشلهم إلى انفصال الوحدة بينهم وبينه . لقد كان يعرف ضعفاتهم عندما اختارهم . وهو لن يكسر عهده وينبذهم ، بل حتى عندما يسقطون ، فإنه يقيمهم ثانية، وعندما يضلون يُرجعهم . هو يسرّ بسماع صلواتهم تماما كما يسرّ الوالدان بسماع الكلمات الأولى لطفلهم . هو يسرّ بمحاولاتهم أن يخدموه .

والرب يعتني بشعبه في حياتهم ، فكل ظروف حياتهم تحت سيطرته ، كما أن الأب والابن والروح القدس موجودون معهم وفيهم فالملائكة يخدمونهم ، فلا يستطيع أحد أن يمسّهم بدون سماح منه . كل الأشياء تعمل معاً لخيرهم . وهو يسمح لهم بالتجربة لخيرهم ، وهو ينقيهم فقط ليأتوا بثمر أكثر .

والرب يعتني بشعبه عند موتهم ، إن أوقاتهم في يده . لقد حفظهم حتى أصبحوا مهيبين للمجد . لن يستطيع مرض أن يسلبهم حياتهم ، حتى يعطي الرب كلمته . وعندما يُعطي الرب كلمته ، فلن يستطيع أي طبيب مهما بلغت مهارته يمنع عنهم الموت . وعندما يموتون ، فالأذرع الأبدية تحيط بهم ، وعندما يرحلون سيكونون مع المسيح . غير المؤمن الموت يُغلق الباب على فرصته الأخيرة ، ويُغلق أمامه باب الرجاء إلى الأبد . أما المؤمن، فالموت يفتح أمامه باب السماء ليدخل منه .

والرب سيعتني بمؤمنيه في يوم ظهوره الرهيب . إن صوت رئيس الملائكة وبوق الله لن يرهبهم والنار لن تمسّهم بل سيختطفون جميعاً في السحب لملاقة الرب في الهواء . (1 تس 4 : 17) . كم هو مبارك ، أن تكون من ضمن قمح المسيح .

إنني أتعجب جداً حين أفكر في عناية المسيح بشعبه - كيف يمكن لإنسان أن ينكر أن المسيح سيحفظ كل واحد من شعبه ، في أمان إلى النهاية . فإن كان قد أحبهم إلى درجة الموت من أجلهم ، فكيف يمكن أن يتخلى عنهم بعد ذلك ؟ افترض أنك كنت في سفينة، ورأيت طفلاً ضعيفاً يغرق ، وخطرت بحياتك وألقيت بنفسك في الماء ، وأحضرته إلى الشاطئ ، فهل يمكنك - بعد كل هذا - أن تتركه على الأرض ، فاقد الوعي ، معرضاً للبرد ، دون أن تفعل له شيئاً ؟ بالطبع لا ، بل ستأخذه بين ذراعيك إلى أقرب منزل ، وتعمل كل ما تستطيع حتى يستعيد صحته . ولن تفكر في تركه حتى تتأكد تماماً أنه استعاد قوته . هل تعتقد أن الرب يسوع أقل رحمة منك ؟ حاشا ! فإن الذين أحبهم ، أحبهم إلى المنتهى ، ولن يتركهم أو يتخلى عنهم ، لكنه سيكمل العمل الذي قد بدأه .

والإنسان الذي قد اختبر نعمة الله حقاً ، لا يمكن أن يسقط منها على الإطلاق . فإذا ارتكب خطية ، سوف يندم عليها مثل بطرس . وإذا حاد عن طريق البر ، فسوف يرجع مثل داود . وهذا ليس لأنه يملك قوة خاصة ، ولكن لأنه قد اختير من الله الأب ، ولأن المسيح يشفع فيه ، ولأن محبة الروح القدس تمسكه . إن أقانيم الثالوث القدوس تضمن خلاصه .

إذا لم تكن بعد تلميذاً للمسيح ، تأمل في الامتيازات التي أنت خاسرها . فأنت تخسر السلام مع الله في الوقت الحاضر ، والمجد العظيم في المستقبل . هل تكون حكيماً وتطلبه الآن ؟

إن كنت تشعر أنك تلميذ ضعيف ، لا تعتقد أن ضعفك سوف يمنعك من التمتع بهذه الامتيازات العظيمة . فالمهم أن يكون إيمانك إيماناً حقيقياً ، حتى إن كان ضعيفاً . لا تخف ، لا تيأس ، فالأطفال في الأسرة محبوبون مثلهم مثل الأخوة والأخوات الأكبر . وهذا ما يحدث في أسرة المسيح ، فالكل محبوب ومحل عناية، والجميع سيجتمعون بسلام إلى وطنهم في النهاية .

4 - الويلات التي تنتظر الذين ليسوا من شعب المسيح :

يخبرنا النص ، الذي نحن بصدده ، أن " التبن يحرقه بنار لا تُطفأ " . دعني أوضح لك ما سوف يحدث . لأولئك الذين هم ليسوا من شعب المسيح . سوف يعاقب المسيح جميع الذين هم ليسوا تلاميذه عقاباً رهيباً . جميع الذين لم يتوبوا ، ولم يؤمنوا ، جميع الذين تمسكوا بالخطية والعالم ، وتعلقوا بالأرضيات فقط ، سيكون لهؤلاء عقاب صارم . والرب يسوع يتحدث عن

احتراقهم. وهذا الاحتراق سيكون إلى الأبد . هو يقول : " نار لا تُطفأ " . إنني لا أحب أن أتحدّث عن هذه الأمور ، ولكن كلمة الله تتحدّث عنها ، وعلينا أن ننتبه لما تقوله كلمة الله .

أنا أعرف أن البعض لا يؤمنون بوجود الجحيم . هؤلاء يقولون للناس ما سبق أن قاله إبليس لأدم وحواء " لن تموتا " (تك3:4) ويوجد آخرون لا يصدّقون أن الجحيم أبدي . مثل هؤلاء يعملون عمل إبليس ، لأنهم يقولون للناس بالفعل : " لا تهتموا كثيراً بالجحيم فإنه لن يكون إلى الأبد " . وهناك آخرون يصدّقون بوجود جحيم ، ولكنهم يعتقدون أنه لن يذهب أحد إلى هناك . وآخرون يؤمنون أنه يوجد جحيم ، ومع ذلك لا يُحتّون أن يتحدّثوا عنه على الإطلاق . وهذا أيضاً عمل إبليس ، لأنه يفرح كثيراً عندما لا يتحدّث المسيحيون عن الجحيم . إننا لا نهتم بما يعتقد الناس ، لكننا نهتم بما قد أخبرنا به الله في كلمته . هل تؤمن بالكتاب المقدس ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن تتأكد من هذه الحقائق :

أولاً - الجحيم شيء حقيقي ، فالكتاب المقدس يعلمنا هذا بنفس الوضوح الذي يعلمنا به أن المسيح مات على الصليب ، من أجل الخطاة . إذا رفضت تعاليم الكتاب عن الجحيم فإنه بالإمكان رفض أي تعليم كتاب آخر ، فلا يوجد تعليم كتابي تستطيع أن تثق به . إذا كان الأمر كذلك ، فيمكنك أن تلقي بكتابك المقدس بعيداً .

ثانياً - الجحيم لن يكون خاليا ، فالمخلّص الذي يجلس الآن على عرش النعمة، سيجلس يوماً ما على عرش الدينونة . الرب الذي يقول الآن : " تعالوا إليّ " هو نفسه الذي سيقول يوماً ما : " ابعدوا عني " . " فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي " (مت 25 : 46).

ثالثاً - الجحيم سيكون مكان الندم والمعاناة الرهيبة . يقول البعض إن الصور التي يستخدمها يسوع في حديثه مثل الدود والنار والظلام وصرير الأسنان ، ربما تكون موجودة لكنها تعني شيئاً ما، إنها تتحدّث عن شقاء العقل والضمير ، وهذا أسوأ كثيراً من شقاء الجسد .

رابعاً - الجحيم أبدي ، وإذا لم يكن كذلك ، فما معنى الكلمات التي يستخدمها الكتاب " إلى أبد الأبدين " ، " إلى الأبد " ، " نار لا تطفأ " ، " دود لا يموت " .

إذا لم يكن الجحيم أبدياً ، فإن كل الإنجيل يقوِّض . إذا أمكن لإنسان أن يُعتق في النهاية من الجحيم ، بدون إيمان بالمسيح ، أو تقديس بالروح القدس ، فالخطية إذاً ليست شرّاً غير محدود ، وليس هناك حاجة إلى دم المسيح ليُكفّر عنها . يجب أن يكون الجحيم أبدياً حتى يكون جحيماً ، لأن أحد صفات الجحيم أنه بدون رجاء على الإطلاق .

خامساً - الجحيم موضوع يجب أن نتحدث عنه ، فالكتاب المقدس يحدثنا عنه . ولم يتحدث أحد عن الجحيم أكثر مما تحدث الرب يسوع المسيح . لذلك لا يمكننا أن نكف عن الحديث في هذا الموضوع . واجبنا هو أن نحذر الناس من الخطر . إذا شبت النار في بيت ، فمن واجبنا أن نصرخ ، " نار " . وبنفس الطريقة ، علينا أن نصرخ ، ونحذر الناس من حقيقة الجحيم .

أناشد كل قارئ ، احترس من المعتقدات المزيّفة في هذا الموضوع . احترس من أن تخرع إليها خاصاً بك ، إليها كلّي المحبة دون قداسة ، إليها لن يفصل بين البار والشرير في الأبدية . مثل هذا الإله هو من اختراعك ، وهو غير موجود . إنه ليس إله الكتاب المقدس .

احترس من أن تختار أجزاء من الكتاب المقدس لتؤمن بها . يجب أن تؤمن بالكتاب المقدس كما هو ، يجب أن تقرأه كله ، وأن تؤمن به كله . يجب أن تأتي إليه كطفل صغير ، وتقول : " تكلم يا رب لأن عبدك سامع " .

الخلاصة :

دعني في الختام استحثك على أربعة أمور :

1 - عليك أن تدرك أن هذه الأمور حقيقية وفعلية ، عليك أن تأخذها بجدية ، وأن تحيا حياة ترقى إلى مستوى هذا الإدراك .

2 - عليك أن تدرك أن هذه الأمور تخصك أنت ، هي ليست للآخرين فقط . وأنت إما أن تكون من القمح ، أو من التبن ، وستكون إما في السماء أو الجحيم .

3 - عليك أن تدرك أنه إذا رغبت أن تكون من القمح فإن الرب يسوع يرحب بك ، هو يريد أن يمتلئ مخزنه بالقمح . وهو يُحضر أبناء كثيرين إلى المجد . لقد بكى على عدم إيمان أورشليم .

إنه يدعوك الآن من خلال هذه الكلمات. حين يقول بوضوح : " إني لا أسرّ بموت الشرير، بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا . " ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة ، فلماذا تموتون " (حز 33 : 11). لماذا لا تأتي إليه الآن ؟ تعال إليه مباشرة . إذا كنت مصراً على التمسك بخطاياك وبالعالم ، فإني قد حذرتك بوضوح . فأنت لن تجد إلا نهاية واحدة فقط، إنها النار التي لا تطفأ . لكن إذا أردت أن تخلص ، فالرب يسوع قادر أن يخلصك. فهو يقول : " تعالوا إلي يا جميع المتعبين وأنا أريحكم " . تعال أيها الخاطئ الأثيم وأنا أعطيك غفرانا مجانيا . تعال أيها النفس المفقودة والهالكة وأنا أمنحك حياة أبدية (انظر مت 11 : 28)

4 - عليك أن تدرك أنك إذا سلّمت نفسك للمسيح ، فإنه لن يسمح على الإطلاق بان تهلك ، فالأذرع الأبدية تحيطك ، واليد التي سُمّرت على الصليب تحملك . والحكمة التي أبدعت العالم ، تتعهدك أمناً .

قد يكون إيمانك صغيراً ، المهم أن يكون حقيقياً . ألق همومك على يسوع، هو يحب أن تثق به . إذا كنت من القمح الآن ، فإنك - بكل تأكيد -سوف تجمع في مخزنه ، عندما يأتي ثانية .